



## المكانبة

### تأريخها ونشأتها ودورها في نشر الحديث النبوي

أ.م.د. محمد إبراهيم خليل

أ.د. جارت سليمان الضاري

جامعة تكريت . كلية التربية / سامراء . قسم علوم القرآن

الأمين العام لهيئة علماء المسلمين

#### خلاصه البحث

تناولنا في هذا البحث المكانبة بمعناها وتأريخها ، ودورها في نشر العلم مع التمثيل بنماذج وصور المكاتبات المختلفة لعل هذا العمل يسهم في تحديد المعنى والغاية وبيانها للذين تحمله هذه الصورة في تحمل الحديث وأدائه بين أهل العلم .

#### المقدمة

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . فقد اتسمت علوم الحديث بمستوى رفيع في تحديد ( طرق التحمل ) التي كانت وما زالت بإنفرادها وخصوصيتها عند الأمة الإسلامية باعتبارها المؤصلة لهذه ولغيرها من القواعد الميثوقة في مصنفات علمائها .

وهذا البحث يهدف إلى تحديد معالم ( المكانبة ) التي أسهمت في نشر الحديث الشريف بين أهله ، ومع هذا فهي طريقة اتصال بين المتعاصرين في تبادل العلوم المختلفة ونشرها . ومما لاشك فيه أن صورة المكانبة واضحة في معالمها دقيقة في منهجها ، غير أنها لم تفرد ببحث يقف عليه الباحث والدارس يجمع شتات ما تفرق من ذلك .

وعملت في هذا البحث على تحديد معالمها ، مركزاً على معناها وتاريخ نشأتها ودورها وتطورها ، مع أنواعها المكاتبات والصيغ المتعلقة بها ، وشروطها وأغراضها ودرجة الاحتجاج بها ، والله نسأل يجعل هذا العمل خالصاً له .

#### الكتابة والمكانبة

من ( كتب ) ، أي : خط<sup>(١)</sup> ، وفي العرف : ضم الحروف إلى بعض بالخط ، والكتاب في الأصل مصدر سمي المكتوب فيه كتاباً .

ويكون اسم للصحيفة مع المكتوب فيه<sup>(٢)</sup> ، قال عنه : ﴿ يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ

عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي : صحيفة فيها كتابة .





ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعموم بالمكاتبة ، ووجه ذلك أن الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب ، فالإرادة مبدأ والمكاتبة منتهى<sup>(٤)</sup> ، وأصل الكتابة من الكتاب ، ويعنون بذلك الشرط الذي يكتب فيه بين طرفين<sup>(٥)</sup> .

وقيل : إن أصل الكتابة مأخوذ من المولى الذي يكتب عبده ، قال ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> .

والمعنى هو أن يكتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه ، ويكتب عليه أنه إذا أدى جميع ما كاتبه فهو حر يعتق ، فالسيد مكاتب ، ومنه : ( كاتبُ العبد ) ، إذا أعطاني الثمن الذي فيه عتقه<sup>(٧)</sup> .

ويمكن إطلاق المكاتبة ويراد بها المراسلة<sup>(٨)</sup> .

ومن خلال ما أدت إليه معاني المكاتبة وجود طرفين يشتركان في الأصل المطلوب من المكتوب الموثق ، وهذه الصورة مما احتاجها أهل الحديث للتوثق من الخبر المروي عن رسول الله ﷺ ، فكانت المراسلة وسائل التحمل والأداء – التوثيق – المعروفة<sup>(٩)</sup> .

لقد عرفت المكاتبة في اصطلاح المحدثين : ما يكتبه من مسموعاته أو شيء من حديثه لمن حضر عنده أو لمن غاب سواء كتب بنفسه أم بإذنه<sup>(١٠)</sup> .

أما الإمام النووي فقد عرفه بقوله الكتابة : أن يكتب الشيخ مسموعه لحاضر عنده أو غائب بخطه أو بأمره<sup>(١١)</sup> .

وهذا قريب من تعريف ابن الصلاح الذي عبر عنها بالمكاتبة<sup>(١٢)</sup> ، فلما كانت كتابة أريد بها المكتوب ، وهذا موصل إلى الأصل الذي جاءت الكتابة له من حيث المفهوم والعمل بالمحتوى ، فهو بمثابة إخبار عن صورة تؤهل المتحمل إلى الأداء والتبليغ عن رسول الله ﷺ .

### نشأة المكاتبة وتاريخ انتشارها وتطورها:

حث القرآن الكريم على المكاتبة من أجل عتق العبيد ، وهذا بحد ذاته مدعاة للاهتمام الكبير في إثبات الحقوق بين أطراف المكاتبة ، ولاسيما فيما يتعلق في إظهار محاسن هذه الشريعة الغراء قال ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾<sup>(١٣)</sup> ، فهنا في مبدأ المكاتبة معاوضة مما يعني أن ما وراء المكتوب كان ملزماً للسيد أن يفى بالعنق مع إمكان سداد العبد .



عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

ولهذا جاءت رسائل رسول الله ﷺ وكتاباته إلى الملوك والرؤساء وغيرهم لإخبارهم بما كتب على سبيل الفرض والإلزام باتباع النور الذي جاء رحمة وإلاً وجبت مقاتلتهم .  
 روى ابن سعد في طبقاته<sup>(١٤)</sup> أن ستة نفر خرجوا في يوم واحد كل يحمل كتاباً إلى وجهته التي قصدتها ، وهذا معروف في كتب السيرة والوثائق السياسية . وإليك من هذه الكتب .  
 روى الإمامان الجليلان البخاري ومسلم<sup>(١٥)</sup> حديث دحية رسول رسول الله ﷺ ، إذ دفع بكتاب رسول الله ﷺ إلى عظيم بصرى ، ليبلغه إلى هرقل ملك الروم ، فدفعه إليه فقراه وكان فيه (( بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، وأن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا اشهدوا بأننا مسلمون ))<sup>(١٦)</sup> .

وما فعله النجاشي لما حمل إليه عمرو بن أمية الضمري كتاب رسول الله ﷺ وضعه على عينه ونزل عن سريره ، فجلس على الأرض تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت أستطيع أن آتية لأتيته<sup>(١٧)</sup> .

كتابه ﷺ إلى جهينة قبل موته بشهر (( أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب ))<sup>(١٨)</sup> ، وهناك من الكتب غيرها التي وجهها رسول الله ﷺ إلى الرؤساء والملوك والقبائل<sup>(١٩)</sup> .  
 وهناك من كتب إلى النبي ﷺ ، منهم العلاء بن الحضرمي<sup>(٢٠)</sup> .

وفي عهد الخلفاء الراشدين كتبوا لعمالهم على الأمصار كتباً منها ما كتبه الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ لأنس بن مالك وكان عامله على البحرين وكان فريضة الصدقة<sup>(٢١)</sup> ، وكتابه لعمر بن العاص أيضاً<sup>(٢٢)</sup> .

وكتب الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ إلى عتبة بن فرقد وكان بأذربيجان : أما بعد (( فأتزروا وارتدوا وانتعلوا وقابلوا وارموا بالخفاف والبسوا السراويلات ، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل ، وإياكم وزى العجم واخشوشنوا ، واقطعوا الركب وانزوا على الخيل وارموا الأقراص ، وأن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير وأشار بإصبعه ))<sup>(٢٣)</sup> .

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية رضي الله عنهما<sup>(٢٤)</sup> ، وكتبت سبيعة الإسلامية رضي الله عنها إلى عبد الله بن عتبة تروي عن النبي ﷺ<sup>(٢٥)</sup> .

وعقد الدكتور مصطفى الأعظمي فصلاً في ذكر الصحابة الذين لهم كتابات<sup>(٢٦)</sup> .



## انتشارها :

انتشرت الكتابة إلى ما بعد عصر الصحابة ، إذ كانت طريقة إلى جانب طرق رواية الحديث التي أخذت تتضح معالمها فتبلورت شيئاً فشيئاً ، فلعبت دوراً مهماً بين أهل العلم ، لما شكلت طريقاً آخرًا مساعدًا للسمع والقراءة .

وهذا قتادة يحكي عن الحسن البصري أنه إذا أشكل عليه شيء كتب إلى ابن المسيب<sup>(٢٧)</sup> . والأمثلة كثيرة مذكورة في الأصول<sup>(٢٨)</sup> .

ثم دخل عصر الأتباع وأتباع الأتباع فشاع استعمالها واعتمدها كثير من الحفاظ ، فأصبحت طريقاً معتمداً من طرق التحمل والأداء للحديث النبوي التي أسهمت إسهاماً فعالاً في نشر الحديث بين الأمصار .

## تطورها :

لما تباعد العلماء بعضهم عن بعض بانتشارهم في الأمصار كانت الحاجة الماسة لما عندهم من أحاديث وروايات ، فأخذت الهمم العالية بأصحابها إلى نقل كثير من الأحاديث ذات القيمة العلمية والتشريعية من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم ومن عالم لآخر ، فزادت روافد نشر الحديث بإضافة طريقة تحمل جديدة وزادت أهميتها وتوسعت دائرتها في الأمصار والأقاليم الإسلامية المختلفة ، فنجد هذا الإمام يكاتب ذاك ليستزيد بما ليس عنده من حديث ، وذلك يكتب جواباً بما استجد عنده وبما لديه من حديث ، ويمكن القول إن المكاتبات في الماضي تشبه إلى حد كبير المراسلات المعروفة اليوم بين الجامعات والمؤسسات العلمية ، إلا أن ميزتها بما أحيطت من عناية ، وما وضع لها من ضوابط وشروط لصيانتها وتوثيقها ، ولما لها من أهمية وقدسية لدى المتعاملين بها في صون حديث رسول الله ﷺ .

وأن مما نفخر به في رواية الحديث وكتابته من اعتماد المحدثين لهذا النوع واستعمالهم لها دليل واضح وشاهد بين الأهمية والدور الذي أسهمت في توسيع دائرة انتشار الحديث والإفادة منه.

## المكاتبه عند المحدثين :

عرفت عند المحدثين : ما يكتبه الشيخ من مسموعاته أو شيئاً منها لحاضر عنده أو غائب عنه ، سواء كتب له بخطه أم بإذنه<sup>(٢٩)</sup> ، ويسميتها بعض المحدثين بـ ( الكتابة ) ، وكان لها طابع مميز عند المحدثين ، إذ ساهمت في رواية الحديث ونقله بينهم .

قال عبد الله بن الحارث المخزومي : كتب ابن جريج إلى ابن سيرة بأحاديث من أحاديثه وختم عليها<sup>(٣٠)</sup> ، وروى إسماعيل بن أبي أويس قال : سمعت خالي مالك بن أنس يقول : قال لي



عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

يحيى بن سعيد الأنصاري لما أراد الخروج للعراق : التقط لي مائة حديث من حديث ابن شهاب حتى أرويهما عنك ، فقيل لمالك : أسمعها منك ؟ قال : هو أفقه من ذلك ، قال مالك : فكتبتها ثم بعثت بها إليه<sup>(٣١)</sup> .

شروط المكاتب :

اشترط المحدثون شروطاً في قبول رواية الحديث والعمل بالكتابة ، وأهمها :

- ١- كتابة الشيخ أو من يأذن له بالإجابة .
  - ٢- الإفصاح عن اسم الكاتب وكذلك المكتوب له<sup>(٣٢)</sup> .
  - ٣- أن يحمل الكتاب المرسل إلى المكتوب إليه ثقة مؤتمن<sup>(٣٣)</sup> .
  - ٤- الختم بألة ختم ، وهذا من قبيل الحيطة من حصول شيء من التغيير<sup>(٣٤)</sup> .
  - ٥- حفظ الكتاب بالشد أو وضعه بمغلف أو وعاء أو ما جرى التعارف عليه من وسائل الحفظ ، حفاظاً عليه من الضياع والسقوط والتلف<sup>(٣٥)</sup> .
- وهذه الشروط أشبه أن يكون متفقاً عليها عند أهل الصنعة وأدلتها كثيرة منها :
- الكتب التي كتبها رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء بيد الأخيار من صحابته ﷺ :
- وروى الخطيب البغدادي عن أحمد بن حنبل قال : كتب إلي قتيبة بن سعيد قال : كتبت إليك بخطي ، وختمت الكتاب بخاتمي ونقشه الله ولي سعيد ، وهو خاتم أبي<sup>(٣٦)</sup> .
- وكتب زكريا بن أبي زائدة وهو قاضي الكوفة إلى معاذ بن معاذ قاضي البصرة سلام عليك ... الخ<sup>(٣٧)</sup> .
- وكان الإمام أحمد يكتب من أحمد بن حنبل إلى فلان بن فلان<sup>(٣٨)</sup> ، وقال الخطيب البغدادي : ويستحب إذا كتب الراوي الكتاب أن يشده وختمه قبل إنفاذه ، لئلا يغير شيء منه وذلك أحوط ، وقد كان غير واحد من السلف يفعله<sup>(٣٩)</sup> .
- وقال محمد بن معاوية : سمعت بقية يقول : لقيني شعبة ببغداد فقال لي : لو لم ألقك لمت ، معك كتب بختيار بن سعد ؟ قال : قلت : لا ، قال : إذا رجعت فاكتبه واختمه ووجه إلي<sup>(٤٠)</sup> .
- واستحب العلماء أن يكون المكتوب بخط الراوي أو بخط غيره بأمره ، ويستحب أن يسمي الكتاب له ، وكل ذلك إنما هو من قبيل التوثيق والتثبيت<sup>(٤١)</sup> .
- وهذه لها أمثلة كثيرة من فعل السلف ( رحمهم الله تعالى ) ، وما ذلك إلا اقتداء برسول الله ﷺ وعملاً بهديه عليه الصلاة والسلام ، إذ إنه كان يتخذ خاتماً من فضة نقش عليه محمد رسول الله .





اتفق الإمامان البخاري ومسلم على رواية حديث قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم ، فقيل له : إنهم لا يقبلون كتاباً إلاّ عليه خاتم ، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله ، فكأنى بوبيص أو ببصيص الخاتم في إصبع النبي صلى الله عليه وسلم أو في كفه<sup>(٤٢)</sup>.

### صور المكاتبة :

إن للمكاتبة صوراً متعددة منها :

الصورة الأولى : أن يبدأ الكتابة بنفسه ويثني بالمكتوب إليه ، فيقول : من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان أما بعد ويذكر ما يريد منه .

مثاله ما جاء في كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرقل ولغيره ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى<sup>(٤٣)</sup> ، فكانت تشير هذه المكاتبات إلى الهدى والنور الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيّن لهم فيها بعض الأحكام والتشريعات ، وهي كثيرة<sup>(٤٤)</sup> .

الصورة الثانية : أن يبدأ باسم المكتوب إليه ، كأن يقول إلى فلان بن فلان هذا بعد البسملة<sup>(٤٥)</sup> ، وممن كان يستعمل هذه الصورة الإمام أحمد أن كان المكتوب إليه أكبر سنّاً ، إذ قال عبد الله بن الإمام أحمد : رأيت أبي يكتب إلى أبي فلان من أحمد بن حنبل . وكان يفعله أيوب السختياني ، قال حماد بن زيد : رأيت أيوب يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى عبد الله بن قاسم من أيوب بن أبي تميمة<sup>(٤٦)</sup> .

ذكر الخطيب البغدادي من أحسن ما كتب وأجوده من المكاتبات ، ما كتبه زكريا بن أبي زائدة قاضي الكوفة إلى معاذ بن معاذ قاضي البصرة .

سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده .  
أما بعد : أصلحنا الله وإياك بما أصلح به الصالحين فإنه هو أصلحهم ، حدثنا العباس بن ذريح عن الشعبي قال : كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه ، أما بعد : فإنه من يعمل لمعاصي الله يعد حامده من الناس ذاماً والسلام<sup>(٤٧)</sup> .

### أنواع المكاتبة:

المكاتبة عند المحدثين نوعان :

١- المكاتبة المقرونة بالإجازة :



عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

أن يكتب الشيخ مروياته أو شيئاً منها ( حديثه ) ويقول : أجزت لك ما كتبتك لك أو ما يكتبه إليه أو أجزت لك أن تروي عني ما كتبتك ، أو أي صيغة أو عبارة تفيد وتفهم أن هناك إذناً بالرواية<sup>(٤٨)</sup> .

٢- المكاتبة المجردة :

وهي التي صورتها من الإذن والإجازة ، بحيث يكتب الشيخ مروياته أو بعضها ، من غير أن يذكر أجزت لك أو عبارة مشعرة بالإذن ، قال أيوب وغيره : إذا كتب إليك العالم فقد حدثك<sup>(٤٩)</sup> .

**حكم الرواية بها :**

الرواية بالنوع الأول من المكاتبة صحيحة جائزة عمل بها أكثر أهل العلم ، وهي من حيث الصحة والقوة كالمناولة<sup>(٥٠)</sup> المقرونة بالإجازة ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المتأخرين مثل ابن الصلاح<sup>(٥١)</sup> والنووي<sup>(٥٢)</sup> والعراقي<sup>(٥٣)</sup> .

وقال الخطيب البغدادي : وهذا النوع شبيه بالمناولة لولا مزية المشافهة ، وذكر ذلك إبراهيم الحربي<sup>(٥٤)</sup> .

أما المكاتبة المجردة ، فقد عمل بها كثير من الأئمة أهل الشأن من المتقدمين والمتأخرين ، ومن الفقهاء والأصوليين ، وممن أجاز الرواية بها أيوب السخيتي ، ومنصور بن المعتمر ، والليث بن سعد ، وزكريا بن أبي زائدة ، وأبو حامد الأسفراييني ، والمحاملي ، وأبو المظفر السمعاني وغيرهم<sup>(٥٥)</sup> ، قال شعبة : كتب إلى منصور بحديث ثم لقيته ، فقلت : أحدث به عنك ؟ قال : أو ليس إذا كتبت إليك فقد حدثتك ، ثم لقيت أيوب فسألته فقال مثل ذلك<sup>(٥٦)</sup> .

وحدث بها عن بكير بن عبد الله الأشج ، وخالد بن يزيد ، وعبد الله العمري ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد بالمكاتبة وجرح بها في التحديث ، وجعلها أبو المظفر السمعاني أقوى من الإجازة المجردة ، ووافقه على ذلك إمام الحرمين<sup>(٥٧)</sup> .

وهناك من منع العمل بها من أهل العلم منهم : الأمدي ، وأبو الحسن بن القطان ، والماوردي<sup>(٥٨)</sup> ، وقال : إلا بتسليط من الشيخ كقوله : فاروه عني أو أجزت لك روايته ، وذهب ابن القطان إلى القول بانقطاع الرواية بالمكاتبة المجردة عن إجازة<sup>(٥٩)</sup> . والصحيح الذي ذهب إليه أهل العلم وكان عليه العمل بها جواز الرواية بالمكاتبة المجردة ، وهو المشهور الظاهر عند المحققين ، فإنهم يعدونه من المتصل في الحديث لإشعاره بمعنى الإجازة وإن لم يقترن بها<sup>(٦٠)</sup> .



ويقول القاضي عياض : كتابه إليه بخط يده أو إجابته إلى ما طلبه عنده من ذلك أقوى إذن ، وبهذا قال حذاق الأصوليين .

وقال : وقد استمر عمل السلف فمن بعدهم المشايخ بالحديث بقولهم : وكتب إلى فلان قال: حدثنا فلان ، وأجمعوا على العمل بمقتضى هذا التحديث ، وعدوه من المسند بغير خلاف يعرف في ذلك ، وهو موجود في الأسانيد كثيرًا<sup>(٦١)</sup>.

وقال السخاوي : والحاصل أن الإرسال إلى المكتوب إليه في أنه سلطه عليه ، فكأنه لفظ به ، وإذا كان كذلك لم يحتج إلى التلفظ بالإذن<sup>(٦٢)</sup> ، وفي قول شعبة المتقدم حكايته عن منصور في قوله له : أو ليس إذا كتبت إليك قد حدثتكم ، وقد استدلت العلماء المجوزون للرواية بالمكاتبه المجردة ، وبكتب النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء وغيرهم التي صارت ديناً ، وأصبح العمل بها لازماً للأمة والخلق ، وكذا ما كتبه الخلفاء الراشدون ﷺ إلى عمالهم ، وكذلك القضاة بعضهم لبعض وانتشار أحكامهم والعمل بها وبمقتضاها<sup>(٦٣)</sup> .

### درجتها :

تأتي المكاتبه المقرونة بالإجازة بعد السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه في الدرجة ، وهناك خلاف هل هي مساوية للمناولة المقرونة بالإجازة أو لا ؟ فنرى من خلال التتبع أن كثيراً من المحدثين يقولون : إنها متساوية في القوة والصحة وورجح بعض أهل العلم المناولة المقرونة بالإجازة على المكاتبه المقرونة بالإجازة لمزية المشافهة فيها<sup>(٦٤)</sup> ، قال الخطيب : والمناولة أرفع من المكاتبه ، لأن المناولة إذن ومشافهة في رواية معين لمعين والمكاتبه مراسلة بذلك<sup>(٦٥)</sup> ، وقال السخاوي : هذا وإن كان مرجحاً فالمكاتبه تترجح أيضاً بكون الكتابة لأجل الطالب<sup>(٦٦)</sup> .

أما المكاتبه المجردة فهي محل خلاف بين أهل العلم ، هل هي كالمناولة المجردة أو أقوى أو هي أقل ؟

من أهل العلم من قال : إنهما سواء ، لأن الكتابة تشعر بمعنى المناولة<sup>(٦٧)</sup> ، ومنهم من يقول : هي أقوى من الإجازة المجردة مثل الإمام السمعاني ، وقال السيوطي : بل هي أقوى من أكثر صور المناولة ، ومنهم من قال بانقطاعها ومنع الرواية بها ، وهذا مرجوح<sup>(٦٨)</sup> .

### صيغ أدائها :

مما لا شك فيه أن هناك صيغ أداء اقترنت بطرق التحمل ، مما يعني وجود ألفاظ يؤدي بها الراوي حديثه بحسب طريقة تحمله عن الشيوخ ، فإذا قال : حدثنا ، سمعت ، حدثني ، فهو السماع ، وإذا قال : أنبأنا ، أخبرنا ، فهو إجازة ، وهذا على الغالب المتعارف عليه ، فكانت في





### عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

المكاتبة صيغة أخرى مناسبة لها ، منها متفق عليها ومنها مختلف فيها ، فكانت واحدة محببة مقبولة وأخرى مختلفة في قبولها<sup>(٦٩)</sup> .

١- الصيغ المتفق عليها :

اتفق المحدثون على أن من تحمل حديثاً بطريق المكاتبة له أن يرويه بقوله : كتب إليّ فلان ، أو حدثنا فلان كتابة ، أو أخبرني مكاتبة أو كتابة ، ونحو ذلك من العبارات المشعرة بالمكاتبة<sup>(٧٠)</sup> .

قال الحاكم : والذي اختاره في الرواية ، وعهدت عليه أكثر مشايخي وأئمة عصري أن يقول في الذي يأخذه من المحدث لفظاً وليس معه أحد : حدثني فلان إلى أن قال : وما كتب إليه المحدث من حديثه ولم يشافهه بالإجازة يقول : وكتب إليّ فلان<sup>(٧١)</sup> .

وقال الخطيب : وهذا هو مذهب أهل الورع والنزاهة والتحري في الرواية ، وكان جماعة من السلف يفعلونه<sup>(٧٢)</sup> .

### الصيغ المختلف فيها :

اختلف المحدثون على أداء الحديث بصيغتي ( حدثنا وأخبرنا ) مجردتين من قيد الكتابة ، فذهب الجمهور منهم إلى القول بمنع ذلك ، وأجازه آخرون مثل : يحيى بن سعيد ، ومنصور بن المعتمر وغيرهما من كبار المحدثين<sup>(٧٣)</sup> ، ومنهم من أجاز إطلاق ( أخبرنا ) ومنع إطلاق ( حدثنا ) من قيد الكتابة<sup>(٧٤)</sup> .

### أمثلة على المكاتبة عند الأئمة :

روى الإمامان الجليلان البخاري ومسلم عن موسى بن عقبة قال : حدثني سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله ، كنت كاتباً له قال : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية فقرأته فإذا فيه (( إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلل السيوف ..... الحديث ))<sup>(٧٥)</sup> . وقد روى كل منهما اتفاقاً وانفراداً روايات كثيرة اشتملت أسانيداً على المكاتبة ، ومن أمثلة ذلك ما روى البخاري عن شيخه محمد بن بشار مباشرة فيها التصريح بالمكاتبة ، قال أبو عبد الله : كتب إليّ محمد بن بشار حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون عن الشعبي قال : (( قال البراء بن عازب وكان عنده ضيف فأمر أهله أن يذبحوا للذبي ﷺ فأمره أن يعيد الذبح ، فقال : يا رسول الله عندي عنق جذع وعنق لبن هي خير من شاتي لحم ... الحديث ))<sup>(٧٦)</sup> ، وأخرج بقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم كثيراً



من الروايات التي ورد فيها لفظ المكاتبة إلى جانب الألفاظ الأخرى من طرق التحمل ، ومما روى أبو داود قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم وموسى بن إسماعيل قالا حدثنا أبان عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : (( إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني ))<sup>(٧٧)</sup> .

قال أبو داود ، وهكذا رواه أيوب وحجاج الصواف عن يحيى وهشام الدستوائي قال : كتب إلي يحيى ، وفيه : (( حتى تروني وعليكم السكينة )) .

وربما كان في الكتابة تخصيص جزء حديثي لأحد أوعيه العلم كما أخبر ابن أبي حاتم عن أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي أن أباه وأبا زرعة كتبا له بجزء من حديثه<sup>(٧٨)</sup> .

وقال إسرائيل : كتب إليّ شعبة اكتب إليّ بحديث إبراهيم بن عبد الأعلى ، قال : فبعث بها<sup>(٧٩)</sup> ، وقد استعملت الكتابة لأكثر من الرواية فإن المكاتبة أفادت التعرف برواة الإثارة والنقلة . قال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إليّ قال : سمعت يحيى بن معين يقول : أثبت أصحاب الزهري مالك ، ومالك في نافع أثبت عندي من عبيد الله بن عمر وأيوب السختيائي<sup>(٨٠)</sup> .

### تعين الكتابة :

هنا تعين كتاب يرويه الطالب عن شيخه إذا كتب إليه شيخه كتاباً يذكر فيه أنه أجاز له رواية ذلك الكتاب المعين ، كقوله : أجزت لك أن تروي عني حديثي أو كتاب كذا ، له أن يرويه عنه . بمقتضى هذه المكاتبة ، قال الخطيب البغدادي : ولو لم يكتب الشيخ إلى الطالب شيئاً من حديثه ، لكنه كتب إليه قد أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو الحديث الفلاني ، كان في الصحة بمنزلة ما ذكرنا آنفاً<sup>(٨١)</sup> .

وقال الخطيب البغدادي : قرأت بخط إسماعيل بن إسحاق القاضي أجازة قد كتبها لأحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي ونسختها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من إسماعيل بن إسحاق إلى أحمد بن بهلول ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي محمد عبده ورسوله ، أما بعد : فقد أجزت لك كتاب الناسخ والمنسوخ عن زيد بن أسلم وكتاب العلل لعل بن المدني وكتاب الرد على محمد بن الحسن الشيباني وكتاب أحكام القرآن ومسائل ابن أبي أويس عن مالك المسبوطة عنه ، فاحمل ذلك عني ، وكتب إسماعيل بيده<sup>(٨٢)</sup> .

أما إذا كانت المكاتبة بغير معين ، وصورتها ما يكتبه المحدث إلى من يجيزه قائلاً : أجزت لك جميع ما صحَّ ويصحُّ عندك من حديثي أو روايتي أن ترويه عني من غير تعين شيء



### عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

بعينه ، وهذه عكس الصورة الأولى ، وبالمقابل جعلوها أقل رتبة ، وذلك لعدم التسمية جعلها مبهمة<sup>(٨٣)</sup> .

### البيئة في المكاتب :

وتعني البيئة هنا التثبيت من خط الكاتب لهذا الأمر ، إذ اختلف أهل الحديث في ذلك ، فمنهم من اشترط البيئة سواء كان ذلك بالرؤية أم الإقرار ، لأن مظنة الشبه بين الخطوط واردة ، فلا يجوز الاعتماد في ذلك ، أما البعض الآخر فإنه اكتفى بمعرفة المكتوب إليه هو خط الكاتب ، ولو لم تقم البيئة على ذلك<sup>(٨٤)</sup> ، وفي عبارة ابن الصلاح ما يفهم أنه يميل ويرجح هذا الرأي ، فإنه عقب على المشترطين البيئة بقوله : وهذا غير مرضٍ ، لأن ذلك نادر ، والظاهر أن خط الإنسان لا يشتبه بغيره ولا يقع فيه إلباس<sup>(٨٥)</sup> .

### المكاتب بين الشك واليقين :

ويعني لنا أن بعض الأحيان يروي المحدث على الشك ، ويكون الغالب عدم التأكد ، لهذا يرى العلماء أن الشك يطرح الرواية ولا يجوزونها ، أما الحال الغالب عند علماء الأمة هو التأكد واليقين ، إذ غالباً ما تكون الكتابات هي ما يتيقنه من دون شك<sup>(٨٦)</sup> .

### ماذا يراد من المكاتب :

ما كانت المكاتب مقتصرة على الرواية أو الدعوة إلى الإسلام ، فقد جاءت بفوائد جمّة كالمكاتب التي تنقل أقوال الأئمة من أهل الحديث ، للكشف عن أحوال الرواة من حيث التعرف بهم ، وما يتعلق بهم من جرح وتعديل ، وما ذكره ابن أبي حاتم قال : أنا ابن أبي خيثمة فيما كتب إليّ قال : إذا حدّث عن الثقات مثل صفوان بن عمرو وغيره ، فأما إذا حدث عن أولئك المجهولين فلا<sup>(٨٧)</sup> .

وكذلك استعمالها على مر الأزمان لأمر شتى كالمعاهدات والمصالحات ، وهي واسطة نقل الأخبار المختلفة التي تنقل للمكاتبين ، فتختصر لهم المسافات والعناء ، إلا أن مزيتها المميزة على مر العصور هي نقل الأخبار وحملها وأدائها .



## الخاتمة ونتائج البحث

- وقفنا في هذا البحث على المنهجية العلمية التي تقرب مفهوم المكاتبة وإسهاماتها من بدء التحمل إلى الأداء بحيث خلصت إلى أهم النتائج الآتية :
- ١- حدد المحدثون منهجاً فريداً في بيان صور التحمل ، التي قامت على أسس متينة تبيّن دقة التثبت في تحمل الأخبار ونقلها ، ومنها صورة المكاتبة.
  - ٢- دور المكاتبة في نشر حديث النبي ﷺ على مر العصور ، مع بيان درجتها عند المحدثين.
  - ٣- التدليل على قوة صورتها من خلال الأمثلة والنماذج التي استعملها المسلمون من عهد النبي ﷺ وغيره .
  - ٤- اشتراط المحدثين في وضع الضوابط المتقنة ليفاد منها ، فتكون معمولاً بها لا يختلف فيها .
  - ٥- استعمال المكاتبات في الحديث الشريف وفي غيره مع بيان أنها وسيلة قوية من وسائل الاتصالات والعلاقات الخاصة والعامة .
  - ٦- في هذا البحث جمع المتناثر في طيات الكتب ، فكان خطوة ملحوظة في تقريب المعنى الذي وضع لأجله راجين أن يسهم في النفع لمن يقف عليه .

### هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

- (١) لسان العرب ، لابن منظور ، إعداد يوسف خياط ، لسان العرب ، بيروت ، ٣ / ٢١٧ .
- (٢) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق ، ٦٩٨ .
- (٣) النساء / ١٥٣ .
- (٤) مفردات ألفاظ القرآن ٦٩٧ ، عمدة الحفاظ ، السمين الحلبي ( ٧٥٦هـ ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ٣ / ٤٣٦ .
- (٥) مقاييس اللغة ، ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون ، عيسى الحلبي ، مصر ، ١٥٩ / ٥ .
- (٦) النور / ٣٣ .
- (٧) المفردات ٧٠٣ ، لسان العرب ٣ / ٢١٧ .
- (٨) جواهر الأدب ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ٢٥ .
- (٩) فتح المغيبي ، العراقي ، دار الكتب العلمية ، ٢٢٥ ، وانظر : الوسيط ، د . محمد أبو شبهة ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٣٢ .
- (١٠) تدريب الراوي ، السيوطي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ٥٤ / ٢ .
- (١١) المصدر السابق .
- (١٢) مقدمة ابن الصلاح ، ابن الصلاح ، دار الكتب العلمية .
- (١٣) النور / ٣٣ .
- (١٤) طبقات ابن سعد ٢ / ١٢٣ .
- (١٥) صحيح البخاري ، الإمام البخاري ، المكتبة الإسلامية اسطنبول ، ٦ / ١ ، ومسلم شرح النووي ، يحيى بن شرف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٠٧ / ١٢ .
- (١٦) آل عمران ٦٤ .
- (١٧)
- (١٨) الوثائق السياسية طاهر حمادة .
- (١٩) الكفاية ، الخطيب البغدادي ، الكتب العلمية ، بيروت ، ٣٣٨ .
- (٢٠) البخاري ١٢٥ .
- (٢١) الطبراني المعجم الكبير ١ / ٥ .
- (٢٢) الكفاية ٣٣٦ ، زاد المعاد ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٦٠ / ٣ .
- (٢٣) المصدران أنفسهما .
- (٢٤) الكفاية ٣٣٧ .
- (٢٥) الكفاية ٣٣٧ ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دار صادر بيروت ، ١٢ / ٤٢٤ .
- (٢٦) دراسات في الحديث النبوي ، د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتبة الإسلامي ، ٢٠٠٠ ، بيروت ، ١ / ٩٢ .
- (٢٧) تهذيب التهذيب ٤ / ٨٦ .



- (٢٨) الكفاية ٣٣٦-٣٣٩ ، تدريب الراوي ٥٥/٢ .
- (٢٩) علوم القرآن ١٦٣ ، تدريب الراوي ٥٥/١ .
- (٣٠) الكفاية ٣٤١ .
- (٣١) معرفة علوم الحديث ٢٥٩ ، فتح المغيـث ١٢٣/ ٢ .
- (٣٢) الكفاية ٣٤١ .
- (٣٣) معرفة علوم الحديث ٢٦١ ، الكفاية ٣٤٠ .
- (٣٤) المصدرين السابقين .
- (٣٥) المصدرين السابقين .
- (٣٦) الكفاية ٣٤٠ .
- (٣٧) المصدر السابق ٣٤١ .
- (٣٨) الكفاية ٣٤٠ .
- (٣٩) المصدر السابق .
- (٤٠) معرفه علوم الحديث ٢٦١ .
- (٤١) تدريب الراوي ٥٦ / ٢ .
- (٤٢) فتح الباري ، الحافظ ابن حجر ، دار المعرفة ، بيروت ، ٣٢٣/١٠ ، مسلم شرح النووي ٦٩ / ١٤ .
- (٤٣) فتح الباري ٣٢/١ ، مسام شرح النووي ١٠٧/١٢ .
- (٤٤) زاد المعاد ٦٠/٣ .
- (٤٥) الكفاية ٦٠/٣ .
- (٤٦) الكفاية ٣٤١ .
- (٤٧) الكفاية ٣٤٠ .
- (٤٨) علوم الحديث ١٥٥ ، فتح المغيـث للعراقي ٢٢٤ .
- (٤٩) الكفاية ٣٤٤ .
- (٥٠) أن يدفع الشيخ إلى الطلاب مسموعاته أو جزء منها سواء قال اروها عني أو مكتفيا بالإرشادات إلى مسموعاته .
- (٥١) علوم الحديث ١٥٥ .
- (٥٢) تدريب الراوي ٥٥/٢ .
- (٥٣) فتح المغيـث ٢٢٤ .
- (٥٤) الكفاية ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
- (٥٥) الكفاية ٣٣٣ ، فتح المغيـث ٢٢٤ ، تدريب الراوي ٥٦/٢ ، و فتح المغيـث ، للسخاوي ،الدار السلفية ،المدينة المنورة ، ١٢٤/٢ .
- (٥٦) الكفاية ٣٣٣ .



- (٥٧) تدريب الراوي ٥٦/٢ .  
(٥٨) المصدرين السابقين .  
(٥٩) فتح المغيـث للسـخاوي ١٢٥/٢ .  
(٦٠) فتح المغيـث للعراقي ٢٢٥ وفتح المغيـث للسـخاوي ١٢٥/٢ .  
(٦١) الإلماع ، القاضي عياض ، سيد محمد صقر ، السنة المحمدية ، ١٩٧٠ ، ٨٤ - ٨٦ .  
(٦٢) فتح المغيـث ١٢٤/٢ .  
(٦٣) الكفاية / ٣٣٣ ، فتح المغيـث ١٢٤/ ٢ .  
(٦٤) تدريب الراوي ٥٦/٢ ، فتح المغيـث ١٢٢/٢ .  
(٦٥) الكفاية / ٣٣٢ .  
(٦٦) فتح المغيـث ١٢٢/٢ .  
(٦٧) فتح المغيـث ١٢٣/٢ .  
(٦٨) المصر السابق .  
(٦٩) فتح المغيـث ١٢٤/٢ .  
(٧٠) معرفة علوم الحديث / ٢٦٠ ، تدريب الراوي ٥٧/٢ .  
(٧١) معرفه علوم الحديث ٢٦٠ .  
(٧٢) الكفاية ٣٤٢ .  
(٧٣) الكفاية ٣٢٤ ، تدريب الراوي ٥٨/٢ ، فتح المغيـث ٢٨/٢ .  
(٧٤) تدريب الراوي ٥٨/٢ .  
(٧٥) فتح الباري ٣٢٥/٢ ، مسلم شرح النووي ٩٠/٥ .  
(٧٦) فتح الباري ٥٥٠/١١ .  
(٧٧) أبو داود ، أبو داود السجستاني ، دار الحديث ، حمص ، سورية ، ٣٦٨/١ .  
(٧٨) الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم ، دار إحياء التراث العربي ، ٤٨/٢ .  
(٧٩) المصر السابق ١٢٣/١ .  
(٨٠) المصر السابق ١٦/٢ .  
(٨١) الكفاية ٣٤٢ .  
(٨٢) الكفاية ٣٢٤ .  
(٨٣) المصر السابق ٣٤٢ .  
(٨٤) تدريب الراوي ٥٧/٢ ، فتح المغيـث ١٢٧/٢ .  
(٨٥) علوم الحديث ٢٦٢ .  
(٨٦) الكفاية ٣٤٢ .  
(٨٧) الجرح والتعديل ٤٣٥/٢ .